أعمال موجهة في مادة: بيبليوغرافيا النقد الأدبي القديم

الحصة الأولى: كتاب أسرا البلاغة للجرجاني

أولا: تعريف مصطلح بيبلوغرافيا

أصل الكلمة يوناني، Biblios معناها الكتاب، Grapho أي يكتب، فيصير معناها يكتب أو ينسخ الكتاب. وباللغة الفرنسية bibliographie.

و كانت كلمة "ببليوغرافيا" في أول الأمر تعني كل ما يتّصل بصناعة الكتب من حيث تأليفها ونسخها وتيسير الاستفادة منها، وأصبح الببليوغرافي هو ذلك الشخص الذي يحترف صناعة الكتب، ثم تطور اللفظ مع مرور الزمن وأصبح يعني الكتابة عن الكتب"[1]

وتعني علم الفهارس، وصيغها متعددة منها: البيبليوغرافيا، والفهارس، المراجع، المصادر، ثبت المصادر، ثبت المراجع، علم الفهارس، فهراسة الكتب، قائمة المصادر والمراجع، مراجع الكتب.

وتعرف الببليوغرافيا أيضا بأها: "قائمة تضم مواد فكرية أو أوعية مختلفة، أو بمعنى آخر قائمة تعطي بيانات عن مواد منشورة أو غير منشورة يتم تجميعها وفقاً لصلة من نوع ما تربط بين هذه المواد، وقد تضم كتباً مخطوطة أو مطبوعة، كما قد تعالج مقالات أو خرائط أو أسطوانات أو صور أو أفلام أو تسجيلات صوتية...الخ"[2]

ترجمة الكاتب

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، فارسي الأصل، جرجاني الدار، وُلِدَ في جرجان وعاش فيها دون أن ينتقل إلى غيرها، حتى توفي سنة 471هـ. وجرجان مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان ببلاد فارس في مطلع القرن الخامس للهجرة.

لم يذكر المؤرخون تاريخ ولادته، لأنه نشأ فقيراً، في أسرة رقيقة الحال، ولهذا أيضاً، لم يجد فضلة من مال تمكنه من أخذ العلم خارج مدينته جرجان، على الرغم من ظهور ولعه المبكر

---

[1]– محمد عبد الجواد شريف، "الببليوغرافيا بين الأعمال الفنية والخدمات المكتبية"، ط1 ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2008 ، ص 12.

[2]– المرجع نفسه، ص13.

بالعلم والنحو والأدب وكتبهما. وقد عاصر عالمين كبيرين كانا يعيشان في جرجان هما : أبو الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث الفارسي النحوي، نزيل جرجان، والقاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، قاضي جرجان من قبل الصاحب بن عبّاد وهو الإمام النحوي، وأحد علماء الكلام على مذهب الأشاعرة وقد كان له حظ انهل من علمهما.

كما أخذ الأدب على يد القاضي الجرجاني وقرأ كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه .وإلى ذلك يشير ياقوت فيقول: "وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به، وشمخ بأنفه بالانتماء إليه"[1]

ويعَدُّ الجرجاني مؤسسَ علم البلاغة من خلال كتابيه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة اللذان يعدان من أهم الكتب التي أُلفت في هذا المجال، وقد ألفهما الجرجاني لبيان إعجاز القرآن الكريم وفضله على النصوص الأخرى من شعر ونثر.

وفاته وآثاره

يوفي سنة 471هـ، وترك عبد القاهر الجرجاني آثاراً مهمة في الشعر والأدب والنحو وعلوم القرآن، من ذلك ديوان في الشعر وكتب عدة في النحو والصرف منها كتاب: (الإيضاح في النحو) وكتاب (الجمل)، أما في الأدب وعلوم القرآن فكان له: (إعجاز القرآن) و(الرسالة الشافية في الإعجاز) و(دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) وقد أورد في كتابيه الأخيرين، معظم آرائه في علوم البلاغة العربية.

تعريف بالكتاب

كتاب أسرار البلاغة في علم البيان .كتاب في علم البلاغة صنفه الإمام عبد القاهر الجرجاني ويعتبر شامل لثمرة الجرجاني وهي "نظرية النظم" والتي ملخصها أن: جمال البلاغة ليس في اللفظ، ولا في المعنى وإنما في نظم الكلام –أي الأسلوب– وبناء الجملة. تأثر في مؤلفه هذا بأسلوب الجاحظ، وتميز بكثرة التمثيل، وضرب الأمثال لشرح الأفكار وتبسيطها. حققه محمود محمد شاكر، طبع: مطبعة المدني بالقاهرة، عدد الأجزاء:1.

مضمون الكتاب

يركز الكاتب على روعة وجمال الأسلوب القرآني وبلاغته، حيث بدأ الكتاب بالحديث عن منزلة الكلام الذي تميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات، ثم إلى الحديث عن اللفظ والمعنى،

---

[1]– ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 16، ص14.

والألفاظ عنده غير مجدية ما لم تؤلف تأليفا خاصا.ثم تحدث عن المواضع التي يستحسن فيها اللفظ وإليكم مسرد لمباحث الكتاب.

مقدمة و فيها أنّ المقصود بالكلام المعاني و بحث السجع و التجنيس.

القول في التجنيس.

شرط استحسان الجناس و السجع.

أمثلة التجنيس الحسن و القبيح.

فصل في قسمة التجنيس و تنويعه. الاستعارة و التطبيق.

تحقيق كون حسن الكلام بالمعاني لا الألفاظ.

بيان كيفية اتفاق المعاني و اختلافها و أبنية اجتماعها و افتراقها.

اشتراك اللغات في التجوز و انفراد العربية.

الاعتبار بترجمة الاستعارة.

القول في الاستعارة المفيدة.

فصل في تقسيم آخر للاستعارة المفيدة.

الاستعارة و التطبيق.

التفرقة بين نوعي الاستعارة في الجنس.

و جه الشبه العقلي في الاستعارة.

تشبيه ما يصلح به الناس أو الكلام بالملح.

تشبيه المعقول بالمعقول.

تحقيق معنى الغنى و الفقر.

اعتراض على أن تنزيل الوجود منزلة العدم و عكسه ليس من حديث التشبيه.

التشبيه الذي يحتاج إلى تأويل.

فصل في التشبيه للاشتراك في نفس الصفة و في مقتضاها.

في وجوه الشبه المنزعة من شيء أو أشياء.

التشبيه المعقود على أمرين و ليس بتمثيل.

فصل في حال انتزاع الشبه من الوصف

بحث دقيق في تمثيل حال اليهود بالحمار يحمل أسفارا.

فروق بين التشبيه و التمثيل.

وجوه الشبه في جمل من التمثيل.

التمثيل في المدح و الذم و أمثلتها.

في الحجاج و الافتخار و الاعتذار.
في الوعظ.
في ضروب الكلام المختلفة.
تعليل بلاغة الكلام بتأثيرها في النفس.
الفرق بين تأثير الكلام في التمثيل و عدمه.
أسباب قوة تأثير و علله النفسية.
سبب تأثير التمثيل في ضربيه.
زيادة تأثير التمثيل بالأمثال المشاهدة.
تعليل دقيق جليل، في فلسفة التمثيل.
تأثير اختلاف الجنس بين المشبه و المشبه به.
جعل التمثيل الشيء كعدمه أو ضده.
مآخذ التمثيل من الموجودات.
فصل آخر في الفرق بين التمثيل الدقيق و التعقيد.
التعقيد و الكلام البليغ المتوقف على دقة الفكر.
مكانة ما لا يدرك إلا بالتعب.
سبب قبح الكلام المعقد.
شرط حسن التأليف بين مختلفى الجنس
التشبيه المتوقف على دقة الفكر.
الإدراك الإجمالى و التفصيلى الذى به التفاصيل.
التشبيه التفصيلى المتوقف على دقة الفكر.
العبرة و التفصيل في ضروب التشبيه و التمثيل.
التفصيل لدقائق التشبيه المركب.
التشبيه في الهيأة التي تقع عليها الحركات.
الجمع بين الشكل و هيئة الحركة في التشبيه.
مآخذ التشبيه من هيئات الحركة و السكون.
النفيس يبذل بكثرة الاستعمال.
قلب التشبيه.
رد الفرع إلى الأصل في التمثيل و عكسه.
القياس في التشبيه و تشبيه الحقيقة بالمجاز.
جعل الفرع أصلا في التشبيه و عكسه.

فصل في الفرق بين الاستعارة و التمثيل.
الاستعارة و المبالغة في التشبيه.
صناعة أبي تمام و فساد ذوقه.
فصل في وقوع الاسم مستعارا بحسب الحس و هو ليس كذلك.
بناء الشعر و الخطابة على التخييل لا المعقول.
من قال خير الشعر أكذبه و ضده.
بيان أن الاستعارة ليست من التخييل.
التخييل الشبيه بالحقيقة مما أصله التشبيه.
براعة ابن الرومي في تفضيل النرجس على الورد.
الفرق بين المعنى الحقيقي و التخييل.
فصل في نوع آخر من التعليل.
الأخذ و السرقة في التخييل مع حسن التعليل.
فصل في التخييل بغير تعليل.
وجه الشبه المقصود بالذات و الحاصل بالتبع.
عود على ادعاء المجاز حقيقة.
بناء الاستعارة و التخييل على تناسي التشبيه.
فصل في الفرق بين التشبيه و الاستعارة.
الاعتقاد في الأخذ و السرقة و الاستمداد و الاستعانة.
حدا الحقيقة و المجاز.
المجاز العقلي و اللغوي و الفرق بينهما.
منه في قيل فيه إنه استعارة و ليس كذلك بل هو حقيقة.
المجاز العقلي و المجاز اللغوي و منه الاستعارة.
ذكر المجاز و بيان معناه و حقيقته و كونه أعم من الاستعارة.
معنى المجاز و حقيقته و مكان الاستعارة منه.
تقسيم المجاز إلى لغوي و عقلي و اللغوي إلى الاستعارة و مجاز مرسل.
كون تقسيم العقلي في الجمل لا المفردات.
فصل في الحذف و الزيادة و هل من المجاز أم لا.
بيان أن الحذف و الإسقاط على وجهين.

منهج الكتاب

اشتمل كتابه على مقدمة وخمسة فصول رئيسة أدرج تحتها كل ما يتصل بالفصل الرئيس من قضايا منبثقة منه، ولا ينتقل إلى غيرها إلا بعد أن يتوفي القول فيها، وهذا التقسيم يعين الباحث على تمييز الفنون البلاغية ومعرفة شواهدها والمسائل المرتبطة بها.

رتب فصول كتابه بما يخدم غرضه من تأليفه مخالفا الترتيب الواجب في قضايا المراتب من البدء بالعام قبل الخاص، فالأصل البدء بالحقيقة والمجاز، ثم الفنون الثالثة التشبيه والتمثيل والاستعارة؛ لأن التشبيه أصل و التمثيل جزء منه والاستعارة مبنية عليه، والبدء بالمجاز قبل الاستعارة؛ لأنه أعم منها، لكنه عدل عن ذلك.

في عرض فصول كتابه على عدد من المناهج الرئيسة في التأليف البلاغي:

1-المنهج التأصيلي: يعد عبد القاهر الجرجاني من جهابذة العلماء الذين أ صلوا لعلم البالغة ورسموا حدوده وأقاموا قواعده العامة. ويظهر ذلك في اهتمامه بتمييز الفنون البلاغية بعضها عن بعض وردها إلى أصول ثالثة التشبيه والتمثيل والاستعارة.

2- المنهج الاستنباطي والجدلي: اتبع الجرجاني الأسئلة كوسيلة لاستنباط القواعد والأحكام ظهر ذلك في مواضع عدة من كتابة فهو يثير أسئلة ويفترض جدًال يرد عليه. نجد ذلك في تعليقه على بيت الفرزدق "فانظر أيتصور أن يكون ذمك للفظة من حيث إنك أنكرت شيئا من حروفه ، أو صادفت وحشيا غريبا ، أو سو قيا ضعيفا .

3- المنهج التحليلي الفني: المتتبع للكتاب يلحظ أنه يقدم لموضوعه ثم يتبع كلامه بنص يتحدث عَّم أشار إليه في مقدمته. ويقودك بأسلوبه الرشيق، وذوقه العالي إلى تتبع الكلام فيضع يدك على مواضع الإجادة فيه أو النقص، وقد يطول الحديث والنقاش وقد يقصر حسب حاجة المقام.

4- المنهج النفسي: اهتم عبد القاهر الجرجاني بالأثر النفسي الذي تتركه العبارات في النفس فالسجع والتجنيس ليست جرس فقط، بل إن جاءت عفوا فعلت في النفي فعل الحر، فالنفوس تميل للإيقاع وتطرب له.

مآخذ على الكتاب

على الرغم من أهمية الكتاب وبقه في ميدان البحث البلاغي وعمق طرحه، فقد أخذ العلماء عليه مآخذ نوجزها فيما يلي:

- لم يقدم لكتابه بل دلف للقول مباشرة في الكلام وبيان قيمته
- لوحظ عليه عدم إتمامه للقول في بعض المواضع فيخوض في حديث وينتقل لآخر ثم يعود لاستيفاء القول في الموضوع الأول.
- عدم اهتمامه بالتصنيف والتقسيم الدقيق فهو يقسم ويصنف إن كان التقسيم ضرورة ملحة ، ويتركه إن انتفت الحاجة إليه حتى لا ينشغل القارئ عن الجوهر.